

УДК 82

"I LOVED YOU TO BREAK", A READING IN THE NOVEL "LIVING WALL" BY DORIT RABINYAN

"أحببتك كي نفترق" قراءة في رواية "جدار حي" لدوريت رابنيان

Ali Mohammed Rasheed

University of Baghdad

al_20_al2005@yahoo.com

Submission Date: 01.03.2018

الملخص

يهدف هذا البحث إلى معرفة صورة العربي وتجلياتها في الرواية الإسرائيلية الأكثر جدلا في القرن الحادي والعشرين ألا وهي رواية (جدار حي) للأديبة الإسرائيلية من أصول فارسية (دوريت رابنيان). فقد طغت صورة العربي في الكثير من الأعمال الأدبية الإسرائيلية وتبأت مكانا واضحا، وكانت النظرة تجاهه، نظرة واضحة أيضاً، فصورته لم تتغير بتغير الظروف والاتفاقيات بشكل يتناسب وهذه الظروف، وإنما بقيت تراوح مكانها، ولم تتبدل بنظرة احترام على الأقل، بل على العكس من ذلك، فهناك بعض المطالبات بإعادته إلى الصحراء، وتصوره بأنه شجرة بلا جذور، يمكن اقتلاعها في أي وقت. ولكن بعد أن هبت رياح التغيير على الأدب الإسرائيلي بعد حرب عام 1973؛ تغيرت النظرة إلى العربي بفعل الظروف المتغيرة، التي ألقت بظلالها على الأدب. لذا فإن بحثنا هذا يركز على الصورة بتجلياتها المختلفة، سواء الإيجابية منها والسلبية، كما أظهرتها الرواية، مبينا الأبعاد الاجتماعية والنفسية في الواقع على الأرض وبلا رتوش كما تراها الكاتبة.

كلمات مفتاحية: صورة العربي، الرواية الإسرائيلية، دوريت رابنيان، جدار حي، رواية

Abstract

This research aims at identifying the Arab image and its manifestations in the most controversial Israeli novel of the twenty-first century. It is the novel "The Living Wall" of the Israeli dictator of the Persian origin, Dorit Rabinyan. The image of the Arab in many Israeli literary works was overshadowed by a clear place. The outlook on him was also clear. His image did not change according to circumstances and agreements, but rather remained in place. There are some claims to be returned to the Sahara, and it is conceived as a tree without roots, which can be uprooted at any time. But after the winds of change on Israeli literature after the 1973 war, the outlook for the Arab changed because of changing circumstances, which cast a shadow over literature. Therefore, this research focuses on the image of different manifestations, both positive and negative, as demonstrated by the novel, indicating

the social and psychological dimensions in reality on the ground and without Retouche as seen by the writer.

Keywords: image of the Arab, Israeli novel, Dorit Rabinyan, living wall, novel

For citation: Rasheed, A.M. (2018). "أحببتك كي نفترق" قراءة في رواية "جدار حي" [“I loved you to break” a reading in the novel “living wall” by Dorit Rabinyan]. *Eurasian Arabic Studies*, 3, 55-72.

المقدمة

أدركت الحركة الصهيونية ومؤسساتها أهمية دور الأدب في التعبير عن أفكار وآمال وإشكاليات تخدمها وتخدم أهدافها، لذا فقد عدته الحامل الأساسي لأفكارها، ومنطلقاً لبث خطابها الصهيوني، ومن خلاله حرص الكاتب الصهيوني على رسم صورتين لمجتمعين يسكنان المنطقة ذاتها، الأولى مثالية لمجتمع إسرائيلي متحضر، مقابل صورة مشوهة لمجتمع عربي متخلف. وكان الأدب في خدمة الصهيونية قبل وجودها، كما يقول كنفاني "فالصهيونية لم تولد في مؤتمر بال سنة 1897، ولكن هذا المؤتمر كان تتويجا عمليا لسلسلة من الضغوط التي لعب فيها الأدب الصهيوني دورا أساسيا، وإذا كانت نهاية القرن التاسع عشر، هي العلاقة الرسمية لولادة الصهيونية السياسية، فإن الصهيونية الأدبية بدأت قبل ذلك" (Mezeel, 1985, p. 23). لذا كرّس الكثير من الكتاب العبريين وسخّروا كتاباتهم خدمة للحركة الصهيونية وتحقيق أهدافها، إذ تعمدوا التشويه والإساءة إلى العربي والشخصية العربية في كتاباتهم المختلفة، يقول ج. كوهين في وصف شخصية العربي: "إن العربي مخلوق غريب، يرتدي جلبابا ممزقا، وغطاءاً قذراً للرأس، وتلتف زوجته بثوب أبيض، ويسير أطفاله حفاة، وليس من مجال للخطأ من تحديد هويته، فكل شيء يتعلق به، مادياً كان أم معنوياً ينطق بصفاته، إنه ليس قذراً فحسب، بل هو لص وكذوب وكسول وعدواني" (Shalhat, 1998, p. 94).

ما يزال موضوع الخلافات القائمة بين العرب واليهود، الأساس الذي يستند عليه الأدباء العبريون في كثير من موضوعاتهم الأدبية، إذ تصور هذه الخلافات اليهودي مظلوماً، والعربي هو المعتدي، فيقوم اليهودي في هذا الأدب مراراً وتكراراً بذل الجهود الحثيثة من أجل السلام، محاولاً أن يعرض للعربي، أن الطرفين ملزمان بالتعاون من أجل حياة أفضل، وبالتأكيد فإن العربي في هذا الأدب غير مقتنع بكلام اليهودي، فيعتدي على اليهودي دائماً، ويسلب أملاكه، وينهبها، وإذا احترم العربي إنساناً، فإنه لا يحترمه إلا عن خوف، وبكلمة أخرى، فالعربي يفهم لغة القوة فقط (Shalhat, 1998). فمنذ إن قرر اليهود الاستيطان في فلسطين؛ شنت الحركة الصهيونية الحملات الدعائية بشتى الطرق لدفع اليهود إلى الهجرة، فقد استقرت صورة العربي على ذلك البدوي المسيطر على أرض الآباء والأجداد؛ لذا بقيت الصورة السلبية مرافقة لفترة الاستيطان وإعلان دولة إسرائيل، وبعد هزيمة حزيران أصبحت صورة العربي حاضرة بشكل لافت للنظر في

الأدب الإسرائيلي، من خلال العلاقات المباشرة بين الطرفين على المستويين الإيجابي والسلبي، وكان حضور العرب في الفن الروائي الأكثر حظاً من فنون الأدب الأخرى؛ لأن الرواية هي "الفن الأرحب استقطاباً للأطراف المتصارعة والشكل الأكثر قدرة على ترجمة أشكال الصراع وأدواته" (Porto, 1966, p. 7)، كما أنها تعد "الوعاء الأنسب للمرحلة التاريخية للمرحلة التي نجتازها اليوم" (Madi, 1999, p. 11). وعليه فإن هدف البحث يكمن بإبراز صورة العربي في رواية "جدار حي". فالموضوع ليس جديداً في الأدب الإسرائيلي، وإنما هو قديم جديد، ربما يكون قد تجدد بفعل الظروف المتغيرة، التي ألفت بظلالها على الأدب. إذا أردنا إن نسلط الضوء على النتاجات الأدبية التي تطرقت إلى صورة وشخصية العربي، فإننا - وبلا شك - سنجد الكثير من هذا النوع في الأدب العبري على مر مراحل، فمن هذه الروايات نذكر: رواية العاشق ورواية بيت في بغداد ورواية الطريق إلى عين حارود وابتسامة الجدي ورواية أن تقع سيبا إضافة إلى النتاجات الأدبية للكثير من الأدباء ذوي الأصول الشرقية أو المتعاطفين مع القضية الفلسطينية والذين يسمون أدباء الاحتجاج أو السلام.

"أدباء السلام، أدباء الاحتجاج"

مجموعة من الأدباء الإسرائيليين أخذوا بالظهور في السبعينيات من القرن العشرين، ليكونوا تياراً ونهجاً جديداً في الأدب الإسرائيلي. إذ يتحدث البعض عن أدباء إسرائيليين، يصفونهم بأنهم يختلفون في مواقفهم تجاه العرب عن مواقف أمثالهم من الأدباء العنصريين، وقد جرى البعض على إطلاق صفة (أدباء الاحتجاج) أو (أدباء السلام) على أولئك المختلفين، إذ يذكر أنطوان شلحت أنه في الخمسينات والستينات كان الاتجاه الطاعني، بشكل تام، على الأدب العبري هو اتجاه تشويه شخصية العربي، أما في السبعينات (وتحديداً في أعقاب حرب أكتوبر 1973) والثمانينات وما تلاها، فبنتنا نجد بعض القصص النادرة التي تحاول أن تقدم بطلا عربياً، يمكن أن يكون ذاته الإنسانية، في تحول بسيط صوب التعامل مع شخصية العربي كإنسان وصاحب حق، (Shalhat, 1998). ومن هذه الكتب النادرة أعمال وبنيامين تموز، ودوريت اورغاد، وموشيه بن شاول وعاموس عوز ودان ألماجور وخانوخ ليفين وشولاميت هاريفين وعاموس كينان وأ. ب. يهوشوع وداليا رابيكوفيتش وحتى الشاعر يهودا عميحي (أحياناً)، وغيرهم. ولكن القراءة الموضوعية للكثير من أعمال هؤلاء، تؤكد أن مواقفهم تجاه العرب، ظلت تتميز بـ (السطحية)، كما يقول سميح القاسم في حوار أجرته معه مجلة الجديد الصادرة بتاريخ 1978/6/1 (Domb, 1987).

إلى ذلك، نلاحظ أن هؤلاء الأدباء قليلو التأثير في الجمهور الإسرائيلي، ولا وزن لهم تقريباً، في نظر متخذي القرار الإسرائيليين، بدليل تنامي التيار اليميني المتطرف المعادي للعرب، في الشارع الإسرائيلي والقرار الإسرائيلي معاً... ولو كان أولئك الأدباء مؤثرين فعلاً، لكان ميل الشارع الإسرائيلي إلى السلام، قد عبّر عن نفسه، في مواقف قرائهم الإسرائيليين، من عسكريين ومدنيين، أثناء الانتفاضة الفلسطينية؛ لكن ما حدث كان النقيض، كما نعرف جميعاً. بل إن هؤلاء الأدباء أنفسهم، وفي أول موقف اختبار حقيقي لموقفهم المعلن من العرب، نراهم قد تراجعوا عن هذا

الموقف الدعائي، لينحازوا، ودون تردد، إلى الجانب الإسرائيلي اليميني، ضاربين عرض الحائط بكل أطروحاتهم السابقة عن السلام والتعايش السلمي الذي زعموا أنهم من أنصاره، كما يؤكد الموقف الأخير لعوز من انتفاضة الأقصى مثلاً (El-Sawaf, 2009).

المنهجية

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ كونه أقرب المناهج الدراسة الموضوع، مع الاستفادة من المناهج الأخرى.

المبحث الأول – دوريت رابينان

تعد دوريت رابينان من الأدباء الشباب الصاعدين نحو الفكر الواعي، يظهر ذلك بشكل واضح في الرواية المدروسة والأكثر جدلاً "جدار حي"، وهي ثالث عمل أدبي تنجزه المؤلفة. وقد فازت هذه الرواية فقد حصلت عام 2015 على جائزة (ברנשטיין לספרות – برنشتاين للأدب)

(2018, "Dorit Rabinan") وهي من مواليد كفر سابا في تل أبيب هاجر والدا دوريت رابينان من إيران إلى إسرائيل واستقروا في كفر سابا في تل أبيب حيث ولدت دوريت في عام 1972 وهي الابنة البكر بين أربع أولاد وكانت والدتها يافا (جميلة) سيدة مبيعات تعمل في متجر لبيع ملابس الأطفال. وكان والدها صهيون يملك مصنعاً للغزل والنسيج، وإثناء خدمتها العسكرية في الجيش عملت كمراسلة لصحيفة "במחנה – بمحنيه" وذلك بعد إكمال دراستها الجامعية. كتبت العديد من الأعمال الأدبية التي حصدت من وراءها على جوائز عالمية واهم أعمالها الأدبية هي: مجموعة إشعار بعنوان "כן כן כן – نعم نعم نعم" صدرت عام 1991، وكتابها الأول المميز الذي حمل اسم "סמטת השקדיות בעומריג'אן – زقاق شجيرات اللوز في عومريجان" صدر عام 1995 وهي رواية كتبتها الأدبية عند بلوغها سن الـ (22) عاما وأصبح من أكثر الكتب مبيعا وحقق منذ صدوره نجاحا وشهرة في الوسط الأدبي ولذلك حظيت الكاتبة بجائزة (וינר לספרות לעירה – وينر لأدب الشباب) (Vicky, 1995). وكما حظيت بجائزة اتحاد الناشرين في إسرائيل، عد كتابها الأول من أهم خمسين كتابا في العام الخمسين لقيام دولة إسرائيل.

وفي سنة 1999 عندما بلغت الكاتبة سن الـ (27) عاما صدر لها كتابها الثاني الذي كان بعنوان (החתונות שלנו – أعراسنا) وقد حاز هو الآخر على نجاح كبير وترجم لخمس عشرة لغة منها الانكليزية والسويدية والهولندية والمجرية والبرتغالية وحصلت بآثره على جائزة (צ'ארلس أورد وینגייט – تشارلز أورد فينيغت) في لندن، وفي عام 2000 حصلت الكاتبة على جائزة رئيس الوزراء للمؤلفين العبريين. وفي عام 2006 صدر لها كتاب في أدب الأطفال بعنوان "אז איפה הייתי אז – أين كنت حينذاك" واستطاعت دوريت رابينان من كتابة سيناريو للفلم التلفزيوني (בחור של שולי – الفتى شولي) والحائز على أفضل عمل درامي من قبل الأكاديمية الإسرائيلية للسينما عام 1997 (Matzov-Cohen).

وحصلت عام 2009 على جائزة (אקו"ם לעידוד היצירה – جمعية المؤلفين والناشرين في إسرائيل لتشجيع الإبداع) كتبت دوريت روايتها الثالثة (גדר חיה – جدار حي) عام 2014 حيث

صدرت بعد خمسة عشر عاما من صدور كتابها الثاني وقد هزّت هذه الرواية التعليم الأكاديمي الإسرائيلي مما أثار الجدل في إسرائيل نفسها، وذلك لأنها تحكي عن قصة عشق بين شاب فلسطيني وبنت إسرائيلية في إحدى ضواحي نيويورك، ومُنعت من تداولها في مناهج التدريس خوفاً على الهوية اليهودية ولما لها من تأثير على الشباب اليهود، ومع كل هذا فقد حصلت عام 2015 على جائزة (ברנשטיין לספרות – برنشتاين للأدب) (Kershner, 2015). لقد تميزت الأدبية دوريت رابينيان عن بقية الأدباء اليهود من أصول إيرانية في رواياتها المُعبّرة والمميزة جدا والتي لاقت صدى كبير في إسرائيل. وفي عام 2014 أصدرت رابينيان رواية جديدة حملت اسم " 777 חיה – جدار حي ، والتي تحكي فيها عن قصة حب جمعت بين امرأة إسرائيلية ورجل فلسطيني. أثارت الرواية حينها الكثير من الجدل وهذا ما زاد في شهرتها لكنها وبالرغم من ذلك فقد نالت جائزة بيرنشتاين.

المبحث الثاني – ملخص الرواية

تدور أحداث الرواية في مدينة نيويورك في عامي 2002-2003 ، حيث التقى بها البطلان عن طريق الصدفة وهما كلا من : ليئات بنياميني وهي شابة إسرائيلية تبلغ من العمر 28 عاما ، وهي ابنة مهاجرين من إيران ، تركوا إيران في منتصف ستينيات القرن الماضي وتعمل مترجمة بقيت في إحدى الشقق في مدينة مانهاتن . وحلمي ناصر وهو رسام فلسطيني ، من مواليد الخليل يبلغ من العمر 27 عاما ، أبواه من مهاجري عام 1948، يعيش في مدينة بروكلين. بدأت بين الاثنين تظهر بوادر علاقة تحولت بسرعة إلى علاقة حب، مصاحبة بعلاقات وتقارب جسدي ونفسي تخلو من الخشية من الاندماج بهوية الآخر، حيث تصف لنا ليئات القاصة علاقة عشقهم أثناء خلوصهما سويا أو مع الأصدقاء، الرقص واحتساء الخمر. حيث تربط أثناء وصفها الأحداث بكل دقة مصاحبة بما يجول بخاطرهما من أفكار واضطرابات، ومن بينها أفكار حول نهاية علاقتهما المرتقب وأيضا حلمها في إن تبقى العلاقة على ما هي عليه: "كنت احلم بداخلي بأن أبقى معه هنا، فلم يكن باستطاعتي المغادرة، وبقينا سويا". إن العلاقة بينهما استمرت حتى رجوع ليئات إلى تل أبيب ، في الموعد الذي حُدد مسبقا قبيل لقائهم الأول. بعد مرور شهر عاد حلمي إلى فلسطين ، في البدء إلى بيت والداه في رام الله ، وبعد ذلك إلى شقة قام بتأجيرها في قرية "جفنة" القريبة . فكل واحد منهم عاد إلى حياته الطبيعية. وكانت أحداث "الانتفاضة الثانية" وما رافقتها من أعمال عنف قد منعت الاثنين من اللقاء، لكنهم ابقوا الاتصالات الهاتفية بينهما . وفي احد الأيام وصل حلمي وثلاثة من أقربائه إلى شاطئ يافا بصورة غير رسمية، نزل كلا من شادي وسهام إلى البحر بهدف السباحة. ولكنهم لم يستطيعوا مقاومة الأمواج ، هرع حلمي لنجدتهم ، لكنه هو الآخر لم يكن يجيد السباحة وأدى إلى غرقه في نهاية المطاف.

ينقسم الزمن في الرواية إلى ثلاثة أقسام رئيسية، والمسماة على فصول السنة:

الخريف: وبه كان اللقاء الأول بين الاثنين.

الشتاء: ويصف حياتهم المشتركة لكلا البطلين والتي استمرت خمسة أشهر.

الصيف: وينقسم إلى قسمين: أحداث في فلسطين وأخرى في إسرائيل، واغلبه يتحدث عن حياة وموت حلمي. في الجزأين الأولين تكون البطلة ساردة لكل الأحداث التي حدثت أمامها. أما في الجزء الأخير تصف البطلة الأحداث من وجهة نظرها الشخصي التي ترافقها التخمينات التي بُنيت على أقوال حلمي وغرقه.

اسم الرواية

تذكر الأدبية رابنيان في لقاء صحفي إن السبب وراء اختيار اسم الرواية لأنه يسلط الضوء على موضوع الحدود، وهو عنصر أساسي في الرواية، كيف تعيش الحدود فينا وبيننا، تعريفات الوعي، الجسدي، الحقيقي، المتصور. وأيضاً لأن هذا الاقتران بالكلمات، "الجدار الحي"، سمعت فجأة التوتر الدرامي بين اليهود والفلسطينيين، الخطر الكامن فيه. إن الحدود بلا أمن، لا يمكن العيش فيها أو الراحة منها، قد تتوتر فجأة أو تنهض عليك أو تختفي".

أصداء الرواية في إسرائيل

هزّت هذه الرواية التعليم الأكاديمي الإسرائيلي مما أثار الجدل في إسرائيل نفسها، وذلك لأنها تحكي عن قصة عشق بين شاب فلسطيني وبنت إسرائيلية في إحدى ضواحي نيويورك، ومنعت من تداولها في مناهج التدريس خوفاً على الهوية اليهودية ولما لها من تأثير على الشباب اليهود. وفي عام 2015 طلبت لجنة من المعلمين إضافة الرواية للمناهج الدراسية العبرية خاصة الطلاب المتخصصين في مجال الأدب إلا أن وزارة التربية والتعليم وجدت أن الكتاب "غير لائق" فرفضت إضافته؛ لكن وفي المقابل فقد نشرت ذي إيكونوميست مقالا لها تؤكد فيه أن سبب منع الكتاب داخل المدارس الإسرائيلية هو "سبب سياسي" وذلك خشية من تزايد نسبة الزواج بين الإسرائيليات والفلسطينيون. وأكدت داليا فينيغ العضو في اللجنة التي رفضت إضافة الكتاب على أن قصة الرواية "يمكن أن تضر أكثر مما تنفع" خاصة في هذا الوقت إلا أنها أشارت إلى أن الكتاب غير محظور ويمكن إضافته العام المقبل. وأدى قرار الوزارة إلى احتجاجات نظمها المعلمين ومديري المدارس والمعارضين السياسيين بما في ذلك إسحاق هرتزوغ. جدير بالذكر بأن مبيعات الكتاب قد ارتفعت في أعقاب ذلك (Lazareva, 2015).

المبحث الثالث - تحليل الرواية

تمثل هذه الرواية تحولا جذريا في النظرة إلى الآخر، فقد تحولت الصورة من صورة العدو والكيان والغاصب - بفعل التغيرات السياسية - إلى الآخر، ثم انظر في وقع الكلمتين على أذن السامع ودلالاتهما، "ولا يعود هذا التغير إلى اختلاف وجهات نظر الكاتبة عن العرب وحسب - وإن كان هذا أمرا لا يمكن تجاهله - وإنما يعود في جزء كبير منه إلى الواقع الذي نشأ عن تأسيس دولة إسرائيل من ناحية، وإلى التغيرات التي شهدتها الحياة السياسية فيها من ناحية ثانية". فهذه الرواية تحمل علاقة بين يهودية ومسلم، إن هذه العلاقة محرمة في التلمود والهالاخاه. فقد أجابت لينات على سؤال صديقتها حيال كيفية يتقبل والديها علاقتها إذا علموا بها:

"הם היו תולים אותי על העץ הכי גבוה בתל אביב ، תלייה על עץ זה לא סתם 'ההורים שלי יהרגו אותי'، תלייה על עץ זה עונש פומבי ، זה עונש ראווה" (Rabinyan, 2014).

"لو عرفوا بها لكانوا أعدموني على أكبر شجرة في تل أبيب" وتضيف: "إن إعدامي لم يقتصر على والدي فقط، إنما سيكون إعداماً في ساحة عامة أمام أنظار الجميع". فضلاً عن هذا كانت لبيئات تخشى من ردود أفعال أصدقائها الإسرائيليين من علاقتها هذه. في المقابل، لم يبدر حلمي أية سمة أو علامة للقلق من علاقته ببيئات، فقد عرفها إلى أخيه الذي قدم ذات يوم لزيارتها. بالرغم من اختلاف قوميتي البطلين، لبيئات وحلمي، إلا إنهما عبرا عن حنينهما إلى بلدهم المشترك الدافئ "فلسطين" في شتاء نيويورك البارد. إن الأدب العبري بصورة عامة عرض مشكلة الزواج المغاير في أكثر من مناسبة، بدءاً من بداية القرن العشرين في رواية "الطيفة" لسيميلانسكي مرورا بـ "خلف الجدار" لبياليك، و "السيدة والبائع" لعكنون، "العبد" لاسحاق بشبيس زينكر، "بوق في وادي" سامي ميخائيل، "العاشق" أ. ب. يهواشواع، "ياسمين" إيلي عامير، و "أنت عمري" لسمندر هرسفيلد. تدور أحداث الرواية في مرحلة صعبة جداً من الصراع العربي - الإسرائيلي، إلا وهي فترة "الانتفاضة الثانية"، هذا الأمر كان يشغل لبيئات على الدوام، فضلاً عن بعض الأمور الأخرى تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي وهي:

1 - عندما تنتظر لبيئات في دورة المياه الخاصة بالنساء يجول بخاطرهما امرأ:

"אני תוהה אם גם חילמי, בשירותי הגברים שמעבר לקיר, קורא את הכיתוב הזה בבית המנועול - OCCUPIED - וחושב על הכיבוש" (ibid, p. 42).

"أنا استغرب عندما يقرأ حلمي في دورة المياه الخاصة بالرجال عبر الحائط، عند قراءته على القفل كلمة "OCCUPIED" ويفكر في الاحتلال".

2 - قالت لبيئات عندما أضع حلمي مفاتيحه:

"ושוב הכה בי אותו הד עמום של אשמה, ועוד הספקתי לחשוב שהנה שוב הסמליות הזאת - אובדן המפתחות שלו, הצרור המצטלצל שלי, כמו מטפורה פשטנית למצבנו האומלל בארץ" (ibid, p. 142)

"ومرة أخرى، أدهشني هذا الصدى الباهت للذنب، وما زلت أعتقد أن هذه الرمزية كانت مرة أخرى - فقدان مفاتيحه، حزمته الرنانة، كمثل بسيط لوضعنا البائس في إسرائيل".

3 - عندما غضبت لبيئات على حلمي، تحول غضبها إلى نقد للفلسطينيين كلهم:

"תמיד בטוחים כל כך בצדקתם, בסבלם, מאשימים את כולם חוץ מאת עצמם" (ibid, p. 143).

"دائماً ما يتقون بصدقهم، بآلامهم، أنهم يتهمون الجميع ما عدا أنفسهم".

4 - عندما وصل نبا موت حلمي إلى لبيئات، خطر ببالها بسرعة انه قتل على يد الجنود الإسرائيليين، وعند رجوعهما إلى فلسطين نهاية عام 2002 حذر حلمي لبيئات بعدم ركوب

الباصات أبدا؛ خشية استهدافها من المجاهدين الفلسطينيين خصوصا في تلك الفترة ، فترة الانتفاضة الثانية:

"وأت، שלא תעלי על אוטובוסים" (ibid, p. 285).
"وأنت ، إياك ركوب الباص".

فضلا عن هذا كله إن فكرة حل الصراع "بدولتين لشعبيين" مقابل "دولة متعددة القوميات" كان محور جدال بين ليئات ووسام ، شقيق حلمي الذي زارهم. وعن كتابة الرواية قالت رابنيان: " قمت بالكتابة طوال ست سنوات، إذ أجمعت الكلمة على الكلمة وصغتها لتكون شيئا فريدا، ألصقت بالكلمة بأختها حتى يعبروا عن الجمالية ، ويتغلغلون إلى خلجات النفس، فضلا عن ذلك قمت بعرض الحبكة ورسم الشخصيات على ضوء الفكرة الأساسية للرواية التي طورتها بأشكال عدة" (Ezykowitz, 2015). في بداية الرواية كتبت رابنيان تنويها مفاده "إن كل الشخصيات في الرواية هي من نسج الخيال ولا تمت للواقع بصلة". ولم تذكر اسم الفنان الفلسطيني "حسن حوراني" لا في الرواية ولا في مقدمتها. ولكن هناك من النقاد من يؤكد على إن الرواية قد كتبت على ضوء سنواته الأخيرة ، والدليل على ذلك رسالة الفراق التي نشرتها رابنيان في صحيفة الغارديان والموجهة إلى حوراني عام 2004 . وصرحت رابنيان في إحدى اللقاءات أنها استمدت موضوع روايتها من شاب تعرفت عليه في نيويورك عام 2002: "انه شاب فلسطيني عاش سنوات عدة في مدينة بروكلين تعرفت إليه عن طريق صديق" وتضيف "عندما أكملت أعمالي وابتعدت عنه، واعدت حساباتي مع الواقع، شعرت بأنني خرجت من عنق الزجاجة الذي أقحمت نفسي به طوال سنوات" (Ezykowitz, 2015).

وبالتالي فإن زمن أحداثها قريب من زمن كتابتها. أما لغتها، فقد مزجت بين الفصحى والعامية خلال الحوار، في محاولة من الكاتبة المقاربة الواقع إلى أقصى درجاته، وبالتالي أرى أن الرواية عبارة عن سيرة ذاتية لكتبتها، على الرغم من التنويه في مستهل الرواية. تعرف ليئات النهاية الحتمية لهذه العلاقة ، الأمر الذي أثار حيرتها منذ إن بدأت تسلم رايتها للحب الذي غرقت به على حين غرة ، إذ قالت مخاطبة نفسها:

" לעצור את זה בזמן. ... פשוט ככה, להגיד שלום ולהמשיך הלאה, לחתוך את זה מהר, לקבוע בלב כבד אבל בנחישות שעדיף ככה, עדיף לשנינו (ibid, p. 73).

" يمكنني قطع هذه العلاقة بسهولة ... على هذا النحو، وهو إن أقول له وداعا وامضي في حال سبيلي، لا يجب إن أقوم بهذه الخطوة بسرعة، وإن أشد من أزمي وأربط جأشي، هذا الخيار هو الأفضل كلينا ". كانت إحدى نتائج هذا الحب المستحيل: أنها تعرف جيدا إن هذا الحب امرا جنوبيا لذا قامت بإخفاء هذه العلاقة عن والديها، والشخص الوحيد الذي يعرف بها هو (جوي) صديقة ليئات المقربة، التي سألتها ذات مرة قائلة:

איך אתם יכולים לאהוב ככה אחד את השני, לאהוב וכל הזמן לדעת שזה זמני, לאהוב עם דדליין, עם סטופר, אני לא מבינה איך את מסוגלת" (ibid, p. 242).

"كيف لكما إن تعشقان بعضكما بهذه الطريقة، وإلى هذه الدرجة، وكلاكما يعلم علم اليقين إن هذه علاقة مؤقتة، وإن تحبي شخصا مصيره الفراق، حب محدد بوقت، ساعة توقيت، لا أفهم كيف يمكنك ذلك". تعرف الكاتبة عن العرب وفكرهم الكثير؛ لأنها تعيش بينهم ومعهم، فقد أوردت رأيها في العرب على لسان الساردة/ليئات وفي أكثر من مكان. ولعل رأيها قد أوردته في اللقاء الأول الذي جمع الاثنين عندما رأى حلمي ليئات وهي ترسل رسالة من جوالها وتكتب من اليمين إلى الشمال، الأمر الذي أثاره بصورة كبيرة، وهو أمر خطير فسيحسبه خطرا ليتصل بالشرطة:

عل בחורה בעלת חזות מזרח-תיכונית שעוסקת בפעילות חשודה" (ibid, p. 18).

"حيال شابة ذات هيئة شرق أوسطية تقوم بأعمال مريبة".

وبعد إن أوضحت ليئات لحلمي السبب بفرح وسخرية بسيطة، أجابها حلمي قائلا:

"וזה אף פעם לא קרה לך קודם]...[שחשבו שאת ערבייה]...[כי זה נכון שאת נראית

קצת" (ibid, p. 23).

"الم يحدث لك هذا من قبل ... بان يظنوك امرأة عربية... في الحقيقة انك تبدين قليلا ...".

لتجيبه قائلة: **"ישות מזרח תיכונית מאיימת؟" (ibid, p. 23).**

"شخصية شرق أوسطية تثير الشبهة؟".

بهذه المقدمة تصف الأدبية النظرة الغربية بوصفها احد المواضيع المهمة في الرواية. إذ قبل وصفها لشخصية العربي "حلمي". قامت بوصف وعرض شخصية الإسرائيلية "ليئات" من وجهة نظر أمريكية محايدة. وبهذا قد نجحت الأدبية بتقريب المشاعر إلى القارئ. وإثارة شعور اللفة والاستمرار بالقراءة لمعرفة وجهة نظر الآخر بالذات؛ والذات بالآخر في الوقت ذاته. وعلى هذا الإحساس أشارت الناقدة (فيرد ليف كنعان) في صحيفة هارتس الإسرائيلية قائلة: "تكمّن قوة الرواية في الجانب الأخلاقي الذي أخذته رابينين على عاتقها، من حيث وصف اللقاء بين أنظار يهودية إسرائيلية ونظرة مسلم فلسطيني. لقاء من خلاله تتعلم البطلة أن ترى بشكل مختلف، أن ترى معاناة الآخرين، بدون التخلي عن وجهة نظرها" (Canaan, 2016). أما بخصوص اللغة، فإن الرواية تحوي على ثلاثة لغات هي: العربية والعبرية والانكليزية التي يتم اللقاء في رحابها، على الرغم من إجادتهم لها وتحديثهم بها مع كل من يحيط بهم؛ إلا أنهم بقوا محافظين على لغتهم الأم (العربية والعبرية) ويتحدثون بها مع أقربائهم وأهلهم في البلاد البعيدة. وهذا ما وجدناه جليا في التقارب الجنسي بين الاثنين، في مقدمة الرواية بعد إن اتصلت والدّة حلمي به وتكلم باللغة العربية، كذلك الحال مع ليئات التي تتكلم طوال الرواية مع والديها وشقيقتها بالعبرية بعد إن تقوم بإخراج حلمي من غرفتها وحسبه في غرفة أخرى. في الحقيقة إن كلا الطرفين هو يعمل بلغته بصورة مهنية، فحلمي يعمل معلما للغة العربية فضلا عن الرسم؛ وكذلك ليئات وهي طالبة للنحو العبري وتقوم بترجمة أطروحتها من الانكليزية إلى العبرية. إن رسم صورة العربي في الرواية تشكل من خلال تصرفاته وأفعاله في حياته اليومية، وكشف عن مدى التوتر والقلق النفسي الذي يتناسب مع صورته، وبذلك انتقت الكاتبة شخصياتها العربية وفق رؤى معيارية حققت ما سعت

إليه، فنجد في الرواية موقف العرب من اليهود وعلاقتهم معا في مكان واحد، وهنا تبرز الأدبية مشاعر كلا الجانبين إلى لغة الآخر، فعند سماع لبيئات لحلمي وهو يتصل بأمرها هاتفيا ويتكلم بالعربية أخذت بالتفكير بصعوبة الموقف، أي انه نظرة الإسرائيلي الشرقي للغة العربية:

"ואולי זאת הערבית, הערבית שקודם השכימה אותו רכה וצורודה והתנגנה באוזני טבעית ומוכרת, שקודם שמעתי מתוכה את העברית והבנתי את המילים הדומות, זיהיתי את החי"ת והעי"ן בהגייתן המזרחית ופתאום היא נשמעת מאיימת, גסה ואלימה, כמו רצף מתמשך של קללות" (ibid, p. 71).

"ربما هذه هي العربية، والعربية التي كانت في وقت سابق ناعمة وخشنة ورنّت في أذني بصورة طبيعية ومألوفة. التي سمعت العبرية من خلالها من قبل وفهمت الكلمات المتشابهة، وطابقتُ بها لفظ حرفي الحاء والعين الشرقيين ... فجأة بدت لي صعبة، رخيصة وعنيفة، تشبه تسلسل من اللغات". وفي الجانب الآخر، يرفض حلمي استعمال العبرية جملة وتفصيلا، حتى اسم معشوقته "لبيئات" يرفض التفوه به وحتى لو بالاستهزاء، وبدلا من اسمها العبري، اسمها حلمي اسما عربيا منذ اللقاء الأول بينهما، وهذا الاسم قد اسمعه لأمه في الاتصال الهاتفي قائلا:

"אסמה באזילא [...] אה, חלילה [...] חלילה באזילא" (ibid, p. 70).
"اسمه باسلة ... ها، حلوة - حلوة باسلة".

فضلا عن هذا فقد بقي حلمي يستذكر المصطلحات السياسية التي تتعلق بالاحتلال التي لم تترك مخيلته أبدا حتى بعد إن قضى العديد من السنوات في نيويورك، إن هذا الاستخدام والمتمثل في كلمات ذات منحى نفسي تعبر بلا شك عن واقع الحياة التي عاشها ويعيشها هو وأهله الفلسطينيون داخل إسرائيل. حيث قال للبيئات بعد زوال عاصفة الثلج التي ضربت نيويورك:

"ח'לאס אַל-תג'וּל [...] נגמר העוצר" (ibid, p. 70).

"خلص حظر التجوال ... (أي توقف حظر التجوال)". مشبها العاصفة وخطرها كحظر التجوال الذي تفرضه القوات الإسرائيلية وبهذا فان الرواية قد أبرزت طريقة تعامل القوات الأمنية الإسرائيلية مع العرب. لقد تطورت صورة العربي في الرواية في نظر الإسرائيلي، ويمكن القول إن الرواية / لبيئات قد قدمت صورة تفصيلية جديدة للفلسطيني الإيجابي أكثر من الصورة النمطية السلبية عنهم، فهو متعلم، وبالتالي يتشكل الآخر في الرواية في صورتين، صورة تعبر عن الوجه القبيح للآخر، وصورة تحمل الوجه المتعاطف، كم أن الآخر يتشكل في صورة فردية وليست جماعية. هناك شرط ضروري إن وجود هذا الحب هو إخفاءه عن الجميع، وعلى وجه الخصوص والدي لبيئات. عندما تتحدث مع صديقاتها من إسرائيل، فهي تذكره، وعندما يصل شخص من إسرائيل إلى نيويورك تقول:

"אני יוצאת עם מישהו נחמד, בחור יוני" (ibid, p. 116).
"أخرج مع رجل لطيف، رجل يوناني".

في المكالمات الهاتفية الأسبوعية مع والديها في إسرائيل، تتأكد ليئات من إغلاق نفسها في الغرفة وحدها وإخفاء تواصلها مع والديها الحب بينها وبين الرجل العربي. الخوف من ردهم على هذا الاتصال يشهد على المحرمات التي توجد في المجتمع الإسرائيلي عندما يتعلق الأمر بعلاقة حب بين يهودي وعربي (والعكس بالعكس) كما يتضح من دعوة المسؤولين في وزارة التربية والتعليم لحظر دخول وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية كتاب مناهج الأدب خوفاً من "الاستيعاب". وهناك تشابه آخر يجمع البطالين، إلا وهو ارتباطهما الوثيق بالصراع العربي – الإسرائيلي، الارتباط بالإجبار وبلا إرادة. وكل واحد من الجانبين يختلف عن الآخر بالثقافة، التوجه، المعتقد يختلف عن الآخر، ولكنهما تربوا على اعتبار الآخر عدواً يجب مقاتلته، سواء أكان العربي أم الإسرائيلي. إن الشيء المميز في هذه الرواية، على الرغم من كل شيء، هو عدم تقديم العربي بوصفه "الآخر" والجانب العالمي لتشكيل صورته هو واضح. وهنا يكمن الفرق بين الروايات التي تناولت شخصية أو صورة العربي في الأدب الإسرائيلي تعبر ليئات/ الساردة، ومن خلفها الكاتبة، عن رأيها في العرب، وهذا الواقع بينهما، علماً أنها تعلم أن اليهود لا يحبون الخير للعرب، ومع ذلك هذا واقع مفروض عليهم، ويبدو موقفها أقرب إلى الاستسلام، وهذا يتناقض مع شخصيتها القوية النائرة. وحول هذا الصراع وتأثيره على المجتمع الإسرائيلي، تقوم ليئات بعرض وسيلة دفاع تحملها الفتيات الإسرائيليات وهي عبارة عن سكين حادة وصغيرة التي قامت صديقاتها بوهبها لها على خلفية عمليات الخطف التي تزعم بان العرب يقومون بها، فضلاً عن سكين صغيرة يقمن بإخفائها بين الأصابع، والتي استمرت ليئات بحملها لعامين:

"ואז כשהוא מתנפל עלייך، את ישר דוקרת לו חזק، בעין או בתוך הלב שלו، ואז בורחת בשיא המהירות" (ibid, p. 47).

"وإذا هاجمك فجأة، عليك بطعنه في صدره مباشرة، أو بعينه أو قلبه، وعندها عليك الفرار بسرعة".

وجواباً على هذه القصة، أخبر حلمي ليئات قصة حدثت له في صباه، ففي تلك الأيام خرج هو مع أقربائه وإخوته للتنزه في الوادي بين المستوطنات بالقرب من رام الله، وفجأة صادفوا ثلاثة شبان يهود يرتدون الملابس الدينية ويعتزمون الطاليت وبرفقتهم طفل صغير، بدا الصغير الصراخ بهستيرياً:

"aravim "aravim وكل השאר צורחים אחריו، ובורחים אחריו כאילו ראו אני לא יודע מה، עיניו הבריכו، לחלוחיות'، זאב (ibid, p. 47).

"عرب، عرب. واخذ الآخرون بالصراخ خلفه، وهربوا بعد ذلك كما لو أنهم رأوا – وبدا عيناه بذرف الدموع – "ذنباً". وتتجسد علاقة المكان بالحدث من خلال علاقته بالشخصيات؛ لأن القاص يقود شخصياته إلى المكان الملائم الذي يتفاعل مع فضاء قصته ويتلاحم معها، ولا سيما إذا انتقلت الشخصية من مكان إلى آخر، تنتقل معها أحاسيسها النفسية التي خلقت عبر اندماجها مع المكان الذي تعيش فيه. ويلتحم المكان بتقنية الوصف لبناء القصة ويفضل أن يقدم من خلال أعين

الشخصيات التي يرسمها الكاتب لا من خلال عيني الكاتب، فالمكان قد يكون مغلقا أو مفتوحا أو معادية بالنسبة إليها وربما أليفة أو محايدة، تحتل الأحداث موقعها فيه. وفي حين تبدو الأمكنة المفتوحة مثل: الممرات و الشوارع، جسور، تعبرها الشخصية القصصية إلى الأمكنة المغلقة، مثل: البيوت، التي تمارس فيها حواراتها وأفعالها. وإذا كانت رغبة الكاتب السعي إلى كشف البعد النفسي للشخصية بجعلها في الأمكنة المغلقة ليخلق "وجدانا وشعورا بين الإنسان والمكان ويشعل فتيلًا من الحب والتعاضد بينهما" (Hussein, 2008). وقد يتعامل مع المكان القصصي على أنه شخصية من شخصيات القصة يتميز بالحيوية والحركة والقدرة على الحب والمعانقة؛ لأن المكان تتضح أبعاده من خلال التأثير الاجتماعي. "فالواقع يبقى خارجا ما لم تجر فيه أفكار يصنع من خلالها الإنسان معنى جديدة لأبعاد ذلك المكان" (Abadi, 2011).

ومن ناحية المكان، فإن البحر له مكانة خاصة في نفسية البطليين، وله أهمية كبيرة طوال الرواية، إذ من خلاله رسمت رايتان الشخصيات وأوجدت لهن توجهاتها السياسية منها أو الدينية. ويذكر (فوكو) حيال أهمية المكان قائلا: "إن الطوبائية هي المكان المناسب لمن يشعر بالغربة أو الاغتراب، أو الذي يمتلك وجهة نظر مغايرة لتلك التي يتخذها المجتمع" (Murtaz, 1998). وفي لقاء التعارف بين البطليين تعرض لبيئات حبا للبحر الذي هو مكان سكناها وعائلتها في فلسطين، فضلا عن بيتها الواسع ومعارضتها لفكرة الشقة الصغيرة التي تقطنها هنا في نيويورك وحتى البحر هنا يختلف:

"גרנו ליד הים ... [רק המרפסת של האמבטיה פנתה מערבה, ומשם כן, בין הגגות, היה אפשר לראות חתיכה קטנה של ים. לרגע ראיתי את הים כמו בשעה שהייתי תולה ומורידה כביסה, קורץ אלי כמו שבר זכוכית כחולה מעל לדודי השמש ... והתמלאתי מן רגשנות כזאת, ובלב רחב ובעיניים גואות פתאום הרמתי את ראשי לשמים. אחח הים הים] ... [אין כמו הים]" (ibid, p. 29).

"سكنا قرب البحر ... وكانت شرفة الحمام فقط كانت موجهة غربا إلى البحر، ومن هناك، بين السقوف، يمكن رؤية قطعة صغيرة من البحر. في الوقت الذي أرى فيه البحر عندما كنت اعلق وانزل غسيل من الحبال، كنت أراه مثل كسر زجاج أزرق فوق الغلايات الشمسية ... وكنت مليئة بمثل هذه الأحاسيس، وبقلب واسع وعياني مغمضتان فجأة رفعت رأسي إلى السماء. هاااا البحر البحر ... لا يوجد شيء مثل البحر".

أما حلمي فتحدث إليها أيضا وأخبرها بأنه يمكن رؤية البحر أيضا من أعلى منزل أخوه في رام الله وتحدثت لبيئات حيال فرحها في وقت سابق بحصولها على اثنين من نجوم الغوص التي تلقتها في دورة كانت قد أجرتها مع صديقة سابقة. إن الحوار في بداية تعارفهم يبين مدى اختلا وجهاتهما، وهي صعوبة تنشأ في كل مرة يتم فيها ذكر مكان ما في إسرائيل. حلمي يخترق بقول الاسم العربي للمكان. حيث يذكر موقع الغوص التي إقامتها لبيئات مع صديقتها هو في "شرم الشيخ" بينما ذكرت لبيئات اسم شرم الشيخ بثلاثة لغات: "בשארם ... בדהב، בנואיבה". ومن هنا أيقن حلمي بأن

ليئات تجيد السباحة لذا فقد اعترف لها بعدم معرفته السباحة وهذا بسبب سياسات الجيش الإسرائيلي الذي اغتصب منزلهم في الخليل ومنعه من السباحة في رام الله، فضلا عن اللافتات التي ينشرها بعدم السباحة بالبحر، ويعترف لها بأنه ذهب إلى البحر ثلاث مرات فقط في حياته:

"יש שלושה דברים שאני לא יודע לעשות ... [שלושה דברים שגבר צריך לדעת] – ... [גבר צריך לדעת לנהוג, ואני לא יודע] ... [לא יודע לירות ברובה – ולשחות, אני לא יודע לשחות] ... [– אני נולדתי וגדלתי בחברון] ... [ואין שם ים] ... [ואחר כך עברנו לרמאללה, וגם שם אי]". (ibid, p. 34).

"هناك ثلاثة أمور لا أجيدها ... ثلاثة أمور واجبة على الرجال تعلمها ... إن الرجل ملزم بتعلم القيادة، وأنا لا أعرف ... ولا أعرف كيفية إطلاق الرصاص من البندقية – والسباحة، أنا لا أجيد السباحة ... فقد ولدت وترعرعت في الخليل ... ولا يوجد هناك بحر ... وانتقلنا بعد ذلك إلى رام الله، وأيضا لا بحر هناك".

إن تخيل الروائي الإسرائيلي يعكس أهمية الحاجة للتركيز على الجوانب السلبية، وحالة الصراع بين الشعبين، واللافت للنظر أن الباحثين لم يلتفتوا إلى الصورة الإيجابية "وهو أمر يمثل الجانب العنيف من عملية شاملة تستهدف تجنيد الأدباء الإسرائيليين من أجل العودة إلى مفاهيم السياسة الإسرائيلية ومرتكزات الفكر الصهيوني" إن صورة العربي في الذهن اليهودي ثم الصهيوني ومن بعده الإسرائيلي، هي صورة تكاد تكرر في أدبهم، في صورة تقليدية نمطية، وهي سيئة، فلا تعطي للفلسطيني بعدا إنسانيا، وهذا بسبب العداء المتواصل بين الشعبين. إن الصورة التي رسمها الشخصيات العربية في الرواية الإسرائيلية، جاءت باهتة وغير واضحة، وهذا طبيعي؛ لأن حضور الشخصيات العربية كانت قليلة جدا، ومع ذلك نلاحظ خوف اليهودي من العربي بشكل واضح في الرواية فقد كان للمكان أي للبحر إضافة من الناحية السياسية، إذ يمزج حلمي مع ليئات قائلا:

"لا نזרוק אותך לים בגלל זה" (ibid, p. 231).

"لن نرمىك في البحر بسبب هذا".

وهذا القول مقتبس من خطاب (أحمد الشقيري²¹) عشية حرب عام 1967. وهذا القول لحلمي قد حمل معنى سياسي ساخر مستخدم البحر. وهذا واضح في الرواية على لسان حلمي .. المعارض للعنف بشكل مطلق وعلى الأخص ضد العنف على المدنيين، علما أن ليئات تعلم أن علاقتها مع حلمي الفلسطيني – نهايتها الفشل. نلاحظ أن الرواية /الساردة، وهي سارد كلي المعرفة، يفرغ

²¹ أحمد أسعد الشقيري (1908-1980) هو سياسي فلسطيني وأول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسسها، ارتبط بتكوين جيش التحرير الفلسطيني ومركز الأبحاث الفلسطيني والصندوق القومي الفلسطيني... انظر: أحمد أسعد الشقيري، معارك العرب وما أشبه اليوم بالبارحة، بيروت، دار النهار، 1975، ص. 14.

أحيانا ما وعته ذاكرته من المخزون الجمعي عن الفلسطينيين، ونظرة العرب لليهود، ويستمر حلمي ليوضح توجه السياسي حيال فلسطين بوصفها ارض واحدة لشعبين فلسطيني ويهودي عن طريق البحر:

"יום אחד זה יהיה הים של כולם، נלמד לשחות בו ביחד" (ibid, p. 35).
"في يوم ما سيكون البحر للجميع، وسنتعلم السباحة سوياً".

وذكر البحر في نهاية الرواية أيضاً، ولكن هذه المرة بصورة تراجيدية أكثر، حيث علمت ليئات نبأ وفاة حلمي من مكالمة هاتفية من أخيه (وسيم)، وعند استفسارها عن سبب وفاته أخبرها بأنه أراد إن يتعلم السباحة في البحر فغرق. ولكن أي بحر فيه قد غرق يا ترى؟، انه البحر الذي أحبته أكثر وهو الذي يقع على ساحل مدينة يافا وتل أبيب. وفي الحقيقة إننا نقول بان حادثة غرق حلمي لها معنى سياسي بحت، وخصوصا إذا كان في البحر الذي يربط بين المدينتين – أي بين الشعبين، فهو يرمز إلى التغيير بهوية المقذوف في البحر: فليس اليهودي هو من سيقذف بالبحر؛ إنما العربي هذه المرة، على خلفية التوترات القائمة في الوقت الحالي. فضلا عن ذلك، إن محاولة حلمي تعلم السباحة جاءت كي يستطيع مجازاة حبيبته ليئات التي أحست بالضيق بعد سماعها لنبا وفاته. وهذا يعني أن المشكلة التي وصفتها رابنيان كمشكلة العربي، التي هي أيضا مشكلة اليهودي، قد بقيت معلقة دون حل.

وقبل معرفة ما تملكه إسرائيل من قوة عسكرية، الأولى أن نعرف نفسية البشر الذين يملكون هذه القوة، والنفسية التي يتميزون بها خلال القتل والدمار والتشريد، وهو الأهم ومعرفتنا بأدبهم يقدم لنا كثيرا مما يدور في نفسياتهم، لأنها في النهاية انعكاس وصدى لما يحمله ومجتمعهم من أفكار. حيث تحمل الرواية هما جماعيا قلما التفت إليه الروائيون الإسرائيليون، وبخاصة في موضوع الصراع العربي الإسرائيلي وبهذه الجراءة والمواجهة، لقد تنوعت صورة الآخر في الرواية من خلال أبعاد أيديولوجية وسياسية. إذ أبرزت الرواية الصورة السلبية بوضوح لليهود، ولكنها أبرزت الموضوعات الاجتماعية وخاصة السلبية منها، مثل الخوف ومفهوم الشهادة، وكان للكاتبة رأي واضح فيها. إذ يتحدث حلمي عن المعاملة السيئة لهؤلاء الجنود – أي الإسرائيليين – للمعتقلين الفلسطينيين القابعين في السجون الإسرائيلية، وأعطت الكاتبة مصداقية تقنع الآخرين بالمعاملة السيئة للمعتقلين الفلسطينيين، تناقض المعاملة المقبولة المعادية التي يصورها الكتاب الإسرائيليون إزاء العربي، ومع أننا نجد في أغلبية أجزاء الرواية تعبيراً صادقا عن التعاطف مع "حلمي" يعكس تعبيراً صادقا مكملاً عن الندم وإعادة النظر والخيبة والإحباط الذي تستشعره الشخصية الإسرائيلية الموازنة، إزاء ما كابده الشعب الفلسطيني من عذاب وتشرد وهلاك على يد الصهيونية، ومع أننا نجد رؤية واقعية لموقع العربي في عملية الخلاص من كابوس العدوان الإسرائيلي، إلا إن غرض توظيف الشخصية العربية لم يكن، بأية حال لذاتها بقدر ما كان لخدمة مواقف الكاتبة ذاتها من مسار بعض التطورات الإسرائيلية. فقد ارتبطت صورة الجندي في الرواية بجيش الدفاع وأعماله مع الناس، وهذا شيء طبيعي ومنطقي، فصورة الجنود الذين يدخلون ويقتحمون البيوت

الفلسطينية، تكاد تكون نمطية وتقليدية، إذ يقومون بالتفتيش والاعتقال وعددهم كبير جدا ولا يسمحون لأحد بالكلام، وهذه الصورة جاءت في الرواية. إن الصورة السلبية التي وصفها شخصيات الرواية للجنود الإسرائيليين، كانت صورة نمطية تقليدية، يعرفها الجميع، خاصة الذين يعيشون في هذه البلاد، وبالتالي لا جديد فيها، فلم تتعمق الكاتبة في داخل الشخصية اليهودية وتحاول فهم نفسيتها. كما نلاحظ على الرواية أن العداء لم يتخذ الطابع العدائي ولم نشعر بقسوة الآخر من قبل الطبقة المثقفة والمتعلمة، وربما يرجع ذلك بسبب معاشة الكاتبة لهذه الطبقة مما كان له الأثر في اكتشاف أفكارها ومواقفها له، أو ربما لأنها ذات أصول شرقية:

"היו שם כמה חיילים"، הוא אומר، ושארית החיך מתעוותת עכשיו על שפתי
שנמצאות זו בזו، "היה להם קטע כזה" -

"ואחרי עפעוף ארוך הוא חוזר ונותן בי הצצה، כמו במין התנצלות، "הם היו מכריזים
אותנו לשיר להם" -

"לשיר להם" ?

"כן، זה הצחיק אותם" -

"לשיר בעברית؟ את השיר הזה" ?

"הוא מהנהן בראשו שוב ושוב، כאילו מתמכר להנהון" (ibid, p. 44).

"كان هناك عدد قليل من الجنود"، يقول وبقية الابتسامة تقلب الآن على شفثيه، التي يتم عصرها
معا".

"كان لديهم هذا النوع من الأشياء" -

"وبعد طرفة طويلة عاد ورمقني بنظرة خاطفة، مثل نوع من الاعتذار، "إنهم يجبروننا على الغناء
لهم".

"غناء لهم؟"

"نعم، هذا يضحكهم"

"الغناء بالعبرية؟ تلك الأغنية؟"

انه يهز رأسه مرارا وتكرارا، كما لو كان ينغمس في إيماءة.

الخاتمة

1. إن المتنوع للعلاقة بين الآن والآخر في الرواية الإسرائيلية يلاحظ أن تغيرا ملموسا من منظور
الروائي الإسرائيلي تجاه الآخر، كما يلاحظ تطورا في موقف المثقفين الإسرائيليين منهم تجاه
القضية الفلسطينية، فقد حاول بعض الكتاب الإسرائيليين تقديم صورة فلسطينية غير نمطية بعد
نكسة 1967، ومنهم ما يسمى بأدباء الاحتجاج أو أدباء السلام.

2. عرضت الرواية الصورة الإيجابية للعربي، فقد كانت صورة حلمي، التي تحتل مكانا واسعا في
الرواية بفكرها وعملها في ذهن الساردة ومن خلفها الكاتبة، ومن يتفحص صورة حلمي في
الرواية، لا يجد فرقا بينها وبين صورة أي شخصية إسرائيلية أخرى فيها، وهذا ربما يعود للفكر

الذي تحمله الكاتبة، كونها تؤمن بالعمل العربي اليهودي المشترك، وبالتالي فلا غرابة أن نرى هذه الصورة الإيجابية.

3. تعرض رواية " جدار حي " متمثلة ببطلها " حلمي " على انه شاب جذاب: فنان، مثقف، يتحدث الإنجليزية، وذو أحساس ورومانسية، وله موقف سياسي صلب. لذا فان صورة العربي هذه تُعتبر خطرة على المجتمع الإسرائيلي، خاصة على الشباب، وعليه فان وزارة التربية الإسرائيلية قد حظرت هذه الرواية؛ إذ اعتبرتها رواية تطبيع تحمل دعوة صريحة إلى الذوبان في الواقع العربي، اجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وهي تبث روحا انهزامية لا لبس فيها، حتى وإن حاولت تغليفها بشيء من الدعوة إلى الانفتاح أو التحرر، ومن هذا المنطلق اختارت نيويورك مكانا لأحداثها، ومزجت شخصيات فيها، من عرب ومن إسرائيليين، وخلطت المجموعات غير المتشابهة في ثقافة متشابهة، هي ثقافة الاحتلال السائدة، والتي تتبناها الرواية الإسرائيلية بشكل كامل، وتدعو لها، وتنتقد من يجادل فيها، وخلال ذلك تتنازل عن كل شيء له علاقة بانتمائها القومي والثقافي.

4. تعد رواية "جدار حي" رواية جريئة في فكرتها وطرحها من الناحيتين الاجتماعية والفكرية. وكانت الكاتبة كلية المعرفة في روايتها، ولكنها سمحت للشخصيات الروائية بالحديث عما يدور بأذهانها أحيانا؛ لذا فقد بقيت دوريت رابنيان مدافعة عن فكرتها حتى نهاية الرواية.

المصادر والمراجع

1. مازال، غ. (1985). الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث. عكا، إسرائيل: مطبوعات دار الأسوار.
2. شلحت، أ. (1998). ثقب في الثقافة العكية. عكا، إسرائيل: مؤسسة أسوار.
3. بورتو، م. (1966). بحث في الرواية الجديدة (الطبعة الثالثة)، بيروت، لبنان.
4. مادي، ش.ع. (1988). انعكاس هزيمة يونيو على الرواية العربية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
5. ضامب، ر. (1985). صورة العرب في الأدب اليهودي (الطبعة الأولى). عمان، الأردن: دار الجليل.
6. الصواف، م. (2009). ظاهرة الأدب الصهيوني – النظرة على (المصطلح، الأصل، الموضوعات). دمشق، سوريا: اتحاد الكتاب العرب.
7. دوريت رابنيان. (لا تاريخ). مسترجع من https://he.wikipedia.org/wiki/%D7%D7%95%D7%A8%D7%99%D7%AA_%D7%A8%D7%91%D7%99%D7%A0%D7%99%D7%90%D7%9F
8. فيكي، ش. (أكتوبر، 1995). بعد 40 كوبا من الماء، يتم ضمان الشعور بالشبع على معدة فارغة. الميزان. جمعية الكتاب العبرية بمساعدة اضا للثقافة والفن.

9. ماتسوف-كوهين، أ. (لا تاريخ) زقاق شجرة اللوز في اميريجان بواسطة دوريت رابينيان كنص خيالي جذابة لطريقة الحياة والتقاليد في المجتمع اليهودي في إيران. مسترجع من <https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/01068-files/01068200.pdf>
10. كيرشنر، أ. (31 ديسمبر، 2015). قصة حب يهودية عربية مستثناة من الفصول الإسرائيلية. نيويورك تايمز. مسترجع من <https://www.nytimes.com/2016/01/01/world/middleeast/borderlife-dorit-rabinyan-israel-ministry-education.html>
11. رابينيان، د. (2014). كل الأنهار. تل أبيب، إسرائيل: دارام أوفيد للنشر.
12. كنعان، ل. ف. (2016). الرأي الآخر: مقترح لوزارة التربية والتعليم في أعقاب إطلاق النار في الخليل.
13. لازاريفا، إ. (2015). كتاب يحمل أسماء المسؤولين قصة حب بين الإسرائيليين والفلسطينيين من الصفوف الإسرائيلية. التلغراف.
14. الشقيري، أ. (1975). المعارك العربية وما شابه اليوم في بيروت. بيروت، لبنان: دار النهار للنشر.

BIBLIOGRAPHIC REFERENCES

1. Mazal, G. (1985). *Arabic personality in modern Hebrew literature*. Acre, Israel: Dar Al-Aswar Publications. (In Arabic)
2. Shalhat, A. (1998). *Holes in Akkarian culture*. Acre, Israel: Aswar Foundation. (In Arabic)
3. Porto, M. (1966). *Research in the new novel* (3rd ed.) (F. Antonius, Trans.). Beirut, Lebanon. (In Arabic)
4. Madi, Sh. A. (1988). *Reflection of the June defeat on the Arab novel*. Arab Foundation for Studies and Publishing. (In Arabic)
5. Domb, R. (1985). *The image of the Arab in Jewish literature* (1st ed.). Amman, Jordan: Dar Al-Jalil. (In Arabic)
6. Al-Sawaf, M.T. (2009). Phenomenon of Zionist literature – A Look at (Term, Origin, Subjects). Damascus, Syria: Arab Writers Union. (In Arabic)
7. Dorit Rabinyan. (n.d.) Retrieved from https://he.wikipedia.org/wiki/%D7%D7%95%D7%A8%D7%99%D7%AA_%D7%A8%D7%91%D7%99%D7%A0%D7%99%D7%90%D7%9F (In Hebrew)

8. Vicky, Sh. (1995, October). *After 40 glasses of water, a sense of satiety is guaranteed on an empty stomach*. Libra. Hebrew writers association with assistance of ADA for culture and art. (In Hebrew)
9. Matzov-Cohen, O. (n.d.) Almond tree alley in Omerijan by Dorit Rabinian as a fictional text appealing to the way of life and tradition in the Jewish community in Iran. Retrieved from <https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/01068-files/01068200.pdf>
10. Kershner, I. (2015, December 31). Jewish-Arab Love Story Excluded From Israeli Classrooms. *The New York Times*. Retrieved from <https://www.nytimes.com/2016/01/01/world/middleeast/borderlife-dorit-rabinian-israel-ministry-education.html>
11. Rabinyan, D. (2014). *All the Rivers*. Tel Aviv, Israel: Am Oved Publishers Ltd.
12. Canaan, L.V. (2016). *The Other's View: A Proposal to the Education Ministry in the Wake of the Shooting in Hebron*.
13. Lazareva, I. (2015). Officials Ban Book Depicting Love Story between Israeli and Palestinian from Israeli Classrooms. *The Telegraph*.
14. Al-Shukairi, A.A. (1975). *The Arab battles and the like today in Beirut*. Beirut, Lebanon: Dar Al-Nahar Publishers. (In Arabic)

Information about the author

Teaching Assistant Ali Mohammed Rasheed
University of Baghdad
Baghdad, Republic of Iraq
al_20_al2005@yahoo.com